ولقد حدثت على الصعيد الدولي عملية استبدال غير مرئية في صدد القضية الفلسطينية . لقد استبدلنا التأييد المحدود وفي دوائر صغيرة الحجم على الصعيد العالمي لكامل حقوقنا فلسطين ، بتأييد واسع وفي دوائر كبيرة لجزء من حقوقنا على أرض فلسطين . أوليست هذه وغيرها الكثير من نتاج نهج التسوية السياسية على الصعيد الدولي ؟

٤ — لم تحلم اسرائيل بأفضل من المنحى الذي سارت عليه التطورات السياسية منذ حرب تشرين وحتى الآن ، من أجل كسب الوقت لاعادة بناء أوضاعها على كل صعيد ، التي هزتها بعنف بالغ ، لأول مرة منذ نشوئها ، حرب تشرين بالذات . واذا كانت حركة السياسة الامريكية في المنطقة وخاصة جولات كيسنجر ، قد أثبتت احتمال وجود تعارضات جزئية في معسكر أعداء أمتنا ، وقد شهدت بعض التعثرات أحيانا ، فيكفيها براعة أنها أسهمت جديا في عملية كسب الوقت لاسرائيل . ولا نظن أن أحدا يختلف في أن الوضع العسكري والاقتصادي والاجتماعي والنفسي داخل اسرائيل قد عاد الآن الى التماسك ، بعد ان كان في اشد حالات تعرضه فقط قبل ما يزيد عن سنتين بقليل عن الآن . أليس هذا باختصار من نتاج نهج التسوية السياسية على الصعيد الاسرائيلي ؟

* * *

لم تنته مسيرة التسوية السياسية بعد ، ولم تنته الجولات التي ستتعرض فيها المقاومة الفلسطينية لمحاولات القمع والتصفية . ولم تتوقف المؤامرات ضد شعبنا وضد أمتنا ، ولا توجد أية دلائل على أن معسكر الاعداء ، الامبريالي — الصهيوني — الرجعي سيتخلى عن برنامجه الرامي ، باختصار ، الى انزال مزيد من القهر بشعبنا وبحقوقه وبمصيره . في مقابل ذلك فان عناصر النضال العربي الفلسطيني لا زالت متوفرة وبكثرة وعلى مختلف الاصعدة ، للخروج من المأزق ومجابهة البرنامج المعادي . وعلى رغم الصورة القاتمة التي نشهدها على الساحتين العربية والفلسطينية فان عوامل النصر ، وحتمية النصر لا زالت مرشحة للانطلاق من أجل تحقيقه . ولا شك أن الشرط المركزي لعملية الانطلاق هذه يكمن بالخروج من نهج التسوية جملة وتفصيلا .

ان الظرف مناسب جدا أمام قيادة العمل الفلسطيني لتأخذ مبادرة الخروج من شباك التسوية السياسية ، والعودة الى مسار برنامجها الثوري ، الذي به تتمكن من تصليب الساحة الفلسطينية من جديد ، ووضع الساحة العربية أمام مسؤولياتهما الجديدة ، لأن قيادة العمل الفلسطيني ، في قناعتنا الراسخة ، لم تتورط بعد بالشكل الذي ذهبت اليه بعض القيادات العربية ، ولم تكن مسيرتها حتى الآن خاضعة لطوق الاستسلام وانما ، ونقولها باخلاص ، كانت مرتكزة على اجتهاد خاطىء . انها الفرصة التاريخية السانحة ، وقيادة العمل الفلسطيني ما زالت قادرة على انتهازها ، لما تتمتع به من خبرات ومن قدرات تفوق ما نراه يعتمل ويسرح ويمرح على الساحة العربية .

عندها لن تعود الساحة الفلسطينية عرضة لما شهدته طيلة الفترة الماضية من شد وجذب ، من قبول ورفض وسوف تسقط مقولات الاستسلام ، وتنتهي محرقة الاستنزاف لدحضها . عندها تتوقف تساؤلاتنا السلبية ، عن ماذا يرفض الرافضون (وهم انما يرفضون هذه الصورة التي أسلفنا ذكر عناصرها) ، وماذا يقبل القابلون ، وعن التصنيفات والاتهامات والتجريح ، وعندها تنطلق أسئلتنا الايجابية وردودنا الثورية عليها ، ببرنامج حقيقي للوحدة الوطنية ، وللقتال الثوري ، ولتثوير الساحة العربية ، ولاعادة ترتيب أمور النضال ، بما يضع الامبريالية والصهيونية والرجعية من جديد في خانة المأزق . ان مفتاح الحل ، مفتاح المخرج من المأزق ، ما زالت الثورة الفلسطينية تمسك به ، فهل تتردد عن استعماله ؟ هل تفوت الفرصة التاريخية علينا ؟